باب اللغة العربية وآدابها:

المثل الشعبيّ في الخطاب السياسيّ اللبنانيّ
(خصائصه الفنّية ودلالاته الاجتماعيّة)

الرّئيس نبيه برّي أنموذجًا

The Popular Proverb in Lebanese Political Discourse Its Technical Characteristics and Social Significance

«President Nabih Berri as a model»

بقلم:عبّاس أنيس حمزة

طالب دكتوراه في اللّغة العربيّة وآدابها، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة / الجامعة الإسلاميّة في لبنان

Abbas Anis Hamza

PhD student in Arabic Language and Literature، Faculty of Arts and Humanities Islamic University in Lebanon

info@ahglobalinvest.com

تاريخ الاستلام: 9 / 2025/7 تاريخ القبول: 9 /8/ 2025 تاريخ النشر:25 /9/ 2025

ملخّص البحث

يستكشف هذا البحث توظيف الأمثال الشعبيّة كأداة إقناعيّة محوريّة في الخطاب السياسيّ اللبنانيّ، مع التركيز على خطابات الرّئيس نبيه برّي. يُعدّ الخطاب السياسيّ حقلًا معقّدًا يجمع بين علم اللّغة والسياسة وعلم الاجتماع، وتبرز فيه الأمثال الشعبيّة بقدرتها على ترسيخ المفاهيم السياسيّة وتأثيرها العميق في الوجدان الجمعيّ، بوصفها «عصارة تجارب الأجيال».

يحلّل البحث الخصائص الفنيّة والدلالات الاجتماعيّة للأمثال الشعبيّة، وكيف تساهم جماليّتها في ترسيخ المفاهيم السياسيّة، ودورها في إنتاج «أفعال الكلام». كما يُظهر كيف يوظّف الرئيس برّي المحسنات اللفظيّة كالتكرار، السجع، والجناس لبناء إيقاع مؤثّر يعمّق المعاني ويجعل الرسالة السياسيّة أكثر رسوخًا. ويكشف التحليل البراغماتيّ للأمثال عن قدرة المثل على توليد أفعال كلاميّة كالإقناع، المصارحة، التوجيه، وحتى الصمت، كاشفًا عن مقاصد الخطيب الضمنيّة وتأثيره في تغيير سلوك المتلقّين.

يُظهر البحث أن برّي حوّل الأمثال من مجرّد تراث شفاهيّ إلى أدوات سياسيّة فاعلة، مستثمرًا خصائصها لترسيخ الرؤى السياسيّة، نقد الخصوم، وتشكيل زعامته كـ «حكيم شعبيّ»، ممّا يعكس بلاغة تهدف إلى تحقيق المصلحة الوطنيّة عبر التأثير اللّغوي العميق.

الكلمات المفتاحيّة :خطاب، المثل الشعبيّ، سياق، براغماتيّة، سياسيّ، أفعال الكلام، دلالة، لغة.

Abstruct

This research explores the use of proverbs as a pivotal persuasive tool in Lebanese political discourse,with a focus on the speeches of President Nabih Berri. Political discourse is a complex field that combines linguistics, politics, and sociology, in which proverbs stand out for their ability to solidify political concepts and their deep impact on the collective consciousness,as “the distillation of generational experiences.” The research analyzes the technical characteristics and social connotations of proverbs, and how they are used as a pivotal persuasive tool in Lebanese political discourse.

The research analyzes the artistic characteristics and social connotations of proverbs, how their aesthetics contribute to the

consolidation of political concepts, and their role in the production of “speech acts.” It also shows how President Berri employs verbal devices such as repetition, rhyme، and alliteration to build an effective rhythm that deepens meanings and makes the political message more durable. The pragmatic analysis of proverbs reveals the proverb’s ability to generate speech acts such as persuasion, honesty, guidance، and even silence, revealing the orator’s implicit intentions and his influence in changing the behavior of the recipients.

The research shows that Berri transformed proverbs from a mere oral tradition into effective political tools، utilizing their characteristics to consolidate political visions، criticize opponents, and shape his leadership as a “popular sage,” reflecting a rhetoric aimed at achieving the national interest through deep linguistic influence.

Keywords: discourse,popular proverb,context,

pragmatics,politician, speech acts, semantics, language.

المقدّمة

يُشكّل الخطاب السياسيّ حقلًا معرفيًّا معقّدًا يتقاطع فيه علم اللّغة مع السياسة وعلم الاجتماع، حيث تبرز الأمثال الشعبيّة كأداة إقناعيّة محوريّة. تتجلّى أهميّة دراسة توظيف الأمثال في الخطاب السياسيّ اللبنانيّ، خصوصًا لدى الرّئيس نبيه برّي، في قدرتها على ترسيخ المفاهيم السياسيّة من خلال تأثيرها العميق في الوجدان الجمعيّ. فالمثل، بوصفه «عصارة تجارب الأجيال»، يُقدّم تعبيرًا مباشرًا وغير مباشر عن الواقع، ليتحوّل في يد الخطيب إلى سلاح بلاغيّ يسيطر به على ذهن المتلقّي. يتميّز الرئيس برّي بقدرته الفائقة على استخدام الأمثال ببراعة وفصاحة ضمن خطاباته، ممّا جعلها علامات سياسيّة متداولة في وسائل الإعلام، تُستخدم كمرجعيّات لتحديد المواقف.

تتبع إشكاليّة البحث من الطبيعة المخطط لها مسبقًا للخطاب السياسيّ، الذي يعتمد على تكثيف الإيحاءات وتوظيف العقل والعاطفة معًا. هنا، يبرز المثل الشعبيّ كأداة مثاليّة لتحقيق «الاستمالة الإقناعيّة»؛ إذ يجسّد بساطة الخطاب السياسيّ وقدرته على اختزال المعاني المعقّدة، ويعكس اللّغة الاجتماعيّة اليوميّة لمختلف طبقات

المجتمع. يطرح هذا الواقع الإشكاليّة المركزيّة لدراسة توظيف الأمثال الشعبيّة: ما هي الخصائص الفنيّة والدلالات الاجتماعيّة للمثل الشعبيّ في الخطاب السياسيّ اللبنانيّ؟ وكيف تُساهم جماليّته في ترسيخ المفاهيم السياسيّة عبر السياق، وما دوره في إنتاج «أفعال الكلام»؟

الأمثال الشعبيّة: صوت المجتمع وكنز ثقافيّ

تُعدّ الأمثال الشعبيّة أقوالًا حكيمة ودقيقة المعاني، تتناقلها الأجيال لتُصبح صوت الشعب الذي لا يمكن لأي سلطة أن توقفه أو تحد من انتشاره. تتميّز الأمثال بخصائص فريدة أهّلتها للانتشار الواسع في الأوساط الشعبيّة، فهي تُعبّر عن واقع المجتمع وتُرسّخ الأعراف والتقاليد والقيم. يُمثّل هذا الجانب إحدى الوظائف الأساسيّة للأمثال، حيث يقودنا استكشاف هذا الشكل من التعبير الشفهيّ إلى فهم أعمق للمظاهر والدلالات الثقافيّة والاجتماعيّة للمجتمع، بكل ما فيه من تناقضات وتعقيدات. فالمثل ينبع من الواقع المعاش ليتحوّل إلى رسالة متنقلة تحمل في طياتها دلالات هائلة.

لقد اهتمّ العديد من الأدباء والباحثين بدراسة الأمثال الشعبيّة بشكل كبير. ومع ذلك، «وعلى الرغم من محاولات دراسة الأمثال الشعبيّة للكشف عنها شكلًا ومضمونًا فإنّها تحتاج لدراسة نفسيّة، لغويّة، وتاريخيّة، وأدبيّة، لمحاولة الكشف عن سمات هذا الفنّ الشعبيّ، وملامحه عبر العصور.» [1] هذا يشير إلى أن هناك حاجة مستمرّة للمزيد من البحث الشامل والمتعمّق لفهم هذا الجانب الغنيّ من التراث الثقافيّ.

الأمثال الشعبيّة: مرآة متحرّكة لتجارب الشعوب وتوجيه للسلوك

يرى الدكتور محمد توفيق أبو عليّ أنَّ « الأمثال في حياة الشعوب لها بعدان: بعد سكونيّ وبعد متحرّك، وكلاهمّا مرتبط بالآخر أيّما ارتباط، ففيما يخص البعد السكونيّ: تبدو الأمثال مرآة الشعوب التي ترتسم فيها تجاربها»[2]. فالأمثال لا يؤثّر فيها الزمن من جهة أنّها تنقل صبغة كل عصر، ويمكن استنتاج ملامح وصورة وتقاليد وعادات أيّ مكوِّن إجتماعيّ أو آثار حضاريّة بكلّ صدقٍ وإتقان، دون أن يدخل التحريف أو النّحل للمفاهيم الاجتماعيّة المتواترة، وإن حصل تزييف فيكون محدودًا وله ظروفه، فالتجربة الهائلة للمجتمعات وتراكم الخبرات الاجتماعيّة يحملها المثل

1- حلمي بدير، **أثر المثل في الأدب الحديث**، الاسكندرية مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر،2003م، ص 42.

2- محمد توفيق أبو علي، **روائع الأمثال الشائعة**، بيروت: دار النفائس، ط2، 2000م، ص12.

جيلًا بعد جيل لتصل إلى شكلها المتداول.

أمّا البعد المتحرّك فيقول: «نرى الأمثال ليست متلقّيًا فحسب بل تغدو قطبًا فاعلًا في حياة النّاس، وفي كثير من المجتمعات والحقبات التاريخيّة، تصادر الأمثال دور الإيديولوجيا وتدخل في عمق الأنا الأعلى للفرد وللجماعة، فتفعل فيهما فعلها البليغ، وتوجّههما كما تشاء». [1]

تُحلّ الأمثال إشكاليّة كبرى تتمثل في توحيد المفاهيم، لتكون بمثابة كلمة سر يتداولها الجميع. يسلّم المجتمع بمضمون الأمثال السامية ويعتبرها من المسلّمات الموروثة التي تختزن الحكمة في طياتها. يمكننا دراسة جوانب متعدّدة من حياة أيّ مجتمع من خلال الأمثال التي يتناقلها أفراده. وقد استنتج الدكتور أبو عليّ تفاصيل حياة الجاهليّين من خلال دراسته للأمثال المتداولة آنذاك، مؤكّدًا على كونها مخزونًا ثقافيًّا هائلًا.

الخطاب السياسيّ: فنّ الإقناع والتأثير عبر الأمثال الشعبيّة

يُعرّف الخطاب السياسيّ بأنّه حديث ذوي السلطة، أو الطامحين إليها، أو معارضيها، وأيّ شخص يتعامل مع الشأن العام سياسيًّا. يعتمد هذا الخطاب بشكل أساسيّ على الإشارة إلى الزمان والمكان والعلاقات والسياق. إنّه خطاب إقناعيّ يهدف إلى حمل المتلقّي على القبول والتسليم بصدقيّة الدعوى، مستخدمًا في ذلك وسائل متعدّدة كاللّغة، والمنطق، والمكوّنات التعبيريّة الأخرى الموازية مثل الصورة ولغة الجسد. بعبارة أخرى، هو خطاب موجّه بقصد التأثير في متلقٍ محدّد، وإقناعه بمضمونه.

يُعدّ استخدام الأمثال الشعبيّة في الخطاب السياسيّ اللبنانيّ منتشرًا على نطاق واسع، ويعكس الحالة الشعوريّة للخطيب. ينبع هذا الاستخدام من حاجة السياسيّ الملحّة للتأثير في النّاس وإقناعهم بتوجّهاته السياسيّة، وقناعاته، وأفكاره، وصوابيّة خياراته. لذا، يلجأ الخطيب إلى المثل لإيصال الأفكار بدقّة متناهية تلامس إدراك الجمهور ومشاعره وعواطفه، ممّا يعزّز من قوّة الإقناع ويضمن وصول الرسالة بفاعليّة أكبر.

الأمثال في الخطاب السياسيّ اللبنانيّ: تاريخ من النقد والتأثير

لطالما وظّف القدماء الأمثال في سياقاتهم السياسيّة بهدف النقد، التوجيه، وإيصال الأفكار. لقد كانت الأمثال وسيلةً لانتقاد الواقع وتحديد العيوب بأسلوب غير

1- محمد توفيق أبو علي، **الأمثال العربيّة والعصر الجاهليّ، بيروت: دار النفائس، 1988م**، ص7.

مباشر، بعيدًا عن التوجيه الصريح أو الكلام الجارح، معتمدين على التلميح لا التصريح.

إنّ العلاقة بين المثل والسياسة ضاربة في القدم. وقد حاول ابن خلدون إيضاح هذه العلاقة، معتبرًا أن كلاهما خطان محسوسان على عكس العلم النظريّ. يشير ابن خلدون إلى أن العلماء، بحكم تعودهم على الأمور الذهنيّة والأنظار الفكريّة، قد يجدون صعوبة في السياسة الّتي تتطلّب مراعاة ما هو خارج الذهن والأحوال الخفيّة التي قد لا تنطبق عليها قواعد قياسيّة. في المقابل، يرى أنّ «العاميّ السليم الطبع المتوسّط الكيّس»، لقصور فكره عن التجريد وعدم اعتياده إيّاه، يحتاج إلى ربط كل مادّة بحكمها الخاص، وفي كل صنف من الأحوال والأشخاص بما يخصّه، ولا يفارق في غالب نظره المواد المحسوسة، ممّا يجعله أكثر تقبّلاً للأمثال. [1]

لقد تسلّل المثل بقوّة إلى الخطاب السياسيّ اللبنانيّ، نظرًا لقدرته العالية على خلق تواصل فعّال بين المرسل والمتلقّي. فهو يثير المتعة والإقناع، ويمتلك قدرة خاصّة على تحريك ذاكرة المتلقّي لاستحضار المعنى المراد من المثل، الّذي لا يزال يتمتّع بحضور كبير في عصرنا الحالي رغم انتمائه إلى زمن بعيد. لم تُقل الأمثال عبثًا أو لمجرّد التسلية، بل قيلت لإيصال معنى معيّن وإبرازه في طابعه الاجتماعيّ والسياسيّ بشتى الأساليب، بما في ذلك الأسلوب الساخر.

إنّ للمثل في الخطاب السياسيّ اللبناني حضورًا قويًّا، فعّالًا، ومستدامًا. إنّه كلمات موجزة ومعبرة يستخدمها السياسيّ كلما دعت الحاجة لتزويد خطابه بأدوات النجاح، وكلما احتاج إلى معين لغوي لإيصال الأفكار بطلاقة ودون عناء، ممّا يؤكّد على أهميّته كأداة بلاغيّة مؤثّرة.

الأمثال الشعبيّة كمرآة المجتمع وأداة حكمة

تُمثِّل الأمثال الشعبيّة، إلى جانب الحكاية والأغنية، نوعًا أدبيًّا بارزًا في الأدب الشعبيّ. وتنبثق هذه الأمثال من الواقع المعاش، مُعبِّرةً بصدق ووضوح عن الحياة الاجتماعيّة وقيم المجتمع وتجاربه، فتصير مرآةً تعكس ثقافته. وتتميّز ببساطة لغتها المستمدة من العاميّة، وإيقاعها الجذّاب، وبلاغتها الفريدة (كالإيجاز والتشبيه الحيويّ والكناية)، ممّا يسهّل تداولها شفويًّا عبر الأجيال ويضمن بقاءها حيّة. وغالبًا ما تُصاغ بطريقة جماعيّة مجهولة المؤلّف،

1–تاريخ ابن خلدون، ج1، ص: 746.

لِتُختزل في النهاية خلاصة تجارب الشعب وحكمته. وتكمن قوّتها الفلسفيّة، كما يرى أرسطو، في كونها تعبيرًا عن معرفة موضوعيّة وحكمة مجتمعيّة رصينة، نابعة من «العقل العِيانيّ» (الإدراك الحدسيّ) و»الحكم العمليّ» الفطريّ للإنسان الناضج، ممّا يجعلها قادرة على إدراك المبادئ المنطقيّة دون تعليم أكاديميّ. وهكذا، تتحوّل الأمثال إلى مستودعٍ حيٍّ لروح الجماعة وخبراتها الإنسانيّة العميقة.[1]

البلاغة والخطاب السياسيّ: صياغة التأثير في الثّقافة العربيّة

تتمتّع البلاغة بمكانة محوريّة في الخطاب السياسيّ العربيّ، فهي ليست مجرّد زينة لفظيّة، بل هي معيار أساسيّ لمصداقيّة الخطيب وقدرته على التأثير. تاريخيًّا، أولى العرب أهميّة قصوى للفصاحة والبيان، واعتبروا أيّ خروج عن قواعد اللّغة، كاللّحن، نقصًا يقلّل من هيبة الحاكم، كما يتّضح من موقف الخليفة عمر بن الخطّاب مع والٍ أخطأ في الكتابة.

يؤكّد علماء البلاغة على أنّ تأثيرها يتجاوز مجرّد جمال الألفاظ. فبحسب محمّد كرد عليّ[2]، البلاغة أداة للإقناع عبر «لطيف الكلام» الذي يلين القلوب ويثبت الحجّة دون إثارة الغضب. ويذهب عبد القاهر الجرجانيّ أبعد من ذلك، رابطًا البلاغة بمطابقة اللّفظ للمعنى، ممّا يجعل الكلام لا يؤثّر في العقل فحسب، بل في القلب أيضًا.

إنّ هذه العلاقة المتجذّرة بين البلاغة والخطاب السياسيّ في الثقافة العربيّة تبرز الدور الحيويّ للفصاحة والبيان في تشكيل الرأي العام وبناء السلطة، مؤكّدة أنّ الكلمة البليغة هي مفتاح التأثير السياسيّ.

الأمثال الشعبيّة في الخطاب السياسيّ اللبنانيّ: أداة سلطة وإقناع

يُوظّف الخطيب السياسيّ، لا سيّما في السياق اللبنانيّ كما يتّضح في خطابات الرّئيس برّي، الأمثال الشعبيّة كآلية فعّالة لتحقيق أهداف متعدّدة. فالمثل، بصفته وحدة دلاليّة غنيّة ومألوفة، يُكثّف الرسائل ويُجنّس الأفكار من خلال سرد رمزيّ قويّ، مستمدًا شرعيّته من الإرث الثقافيّ المشترك.

يُعدّ المثل أداة مثلى لاختراق الوعي الاجتماعيّ وترسيخ المفاهيم الإيديولوجيّة،

1- راجع: أرسطو طاليس، الأخلاق، ترجمة: إسحق بن حنين، حقّقه وشرحه وقدّم له: عبد الرّحمن بدويّ، وكالة المطبوعات الكويت، ط1، 1979، ص: 226.

2- راجع: عليّ، محمد كرد، **أمراء البيان**، دار الأمانة بيروت، ط3، 1969، ص:9.

بل وتحويل الحكمة الشعبيّة إلى أدوات لتأصيل مفاهيم السلطة في الذهن الجمعيّ، وهو ما يتوافق مع منظور ميشيل فوكو للخطاب كشبكة علاقات قوّة[1]. يلجأ الخطيب إلى المثل لتحقيق إقناع سريع وفعّال مستفيدًا من وظائفه المتعدّدة: التواصليّة، الأخلاقيّة، والترفيهيّة. يعود ذلك لشيوعه بين جميع الطبقات وقدرته على البقاء عالقًا في الذهن بفضل إيقاعه ومفارقته.

يضمن المثل أيضًا بساطة الخطاب ووضوحه وإيجازه، ويُضفي عليه حركيّة ويُخرجه من الرتابة. كما يُساهم في بناء القرب وتخفيف التوتّر مع المتلقّي، مع الأخذ في الاعتبار أهميّة مراعاة السياق والجمهور المستهدف والبيئة الثقافيّة عند توظيفه لضمان أقصى تأثير.

المثل الشعبيّ في خطاب الرئيس برّي: فنّ التأثير وعمق الدلالة

يُعدّ المثل الشعبيّ ركيزة جوهريّة في الخطاب السياسيّ للرئيس نبيه برّي، فهو يجمع بين القوّة التأثيريّة والجمال الفنيّ، ويُشكل جسرًا فعّالًا يربط بين الدلالات الاجتماعيّة والتراكيب الإيقاعيّة.

ينفذ المثل –عند برّي– بموسيقاه الداخليّة وإيقاعه المطرب، إلى الوجدان قبل العقل، فيكسر الحواجز بين الخطيب والمتلقّي. هذا الاختراق العاطفيّ يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالذاكرة الجمعيّة والتاريخ، ممّا يُحدث ارتياحًا نفسيًا لدى الجمهور ويكسب الخطيب مودتهم.

علاوة على ذلك، يُمثّل الإيقاع الموسيقيّ للمثل عند برّي – من خلال تقنيات كالتكرار والسجع والجناس – عنصرًا دلاليًّا جوهريًّا لا مجرّد زينة لفظيّة. ينسجم جرس الألفاظ مع المعنى بشكل عضويّ ليعكس جمال اللّغة وعمقها. هذا التناغم يرفع مستوى الخطاب سياسيًّا وبلاغيًا، ويُحوّله من مجرّد رسالة إبلاغيّة إلى مادّة فنيّة مؤثّرة بعمق في النّفس، ممّا يُعزّز من فعاليّة الرسالة وقدرتها على البقاء في الأذهان.

البلاغة في الخطاب السياسيّ الحديث: تقنيّات الإقناع والتأثير

تتجاوز وظيفة البلاغة في الخطاب السياسيّ الحديث مجرّد الزينة اللّفظيّة، لتُصبح نظامًا حجاجيًّا متكاملًا يهدف إلى كسب تأييد المتلقّي. تتضح هذه الوظيفة بجلاء في خطابات الرئيس برّي، حيث تُوظّف تقنيات بلاغيّة كالسجع والجناس والتكرار بفاعليّة عالية.

1– راجع: ميجان الرويلي، سعد البازعي، **دليل النقد الأدبي**، الدار البيضاء، المغرب: المركز العربي، ط3، 2002م، ص155.

يؤكّد ميشال مايير وأوليفي روبول أنّ الحجاج هو جوهر البلاغة، محوّلين الخطاب إلى عمليّة اتصال تفاعليّة[1]. هذه العمليّة تدمج الإقناع العقليّ «التعليم» بالمتعة الجماليّة «الإمتاع» والإثارة العاطفيّة «الانفعال»[2]. في هذا السياق، تبرز الأمثال الشعبيّة في خطاب برّي كأداة بلاغيّة مثاليّة. فهي لا تُجسّد التراث اللّغويّ فحسب، بل تُبسط الأفكار المعقدة وتُنشئ إيقاعًا موسيقيًا (كالتوازن الصوتيّ في السجع) يُرسّخ المعاني في الأذهان.

هكذا، تُحقّق الأمثال الشعبيّة «صنيع الغيث في التربة الكريمة»، كما وصفها البلاغيّون، بتحويل الرسالة السياسيّة إلى مادّة فنيّة مؤثّرة، تُمكن الخطيب من تحقيق أهدافه الإقناعيّة ببراعة.

التكرار في الأمثال الشعبيّة: صياغة الموسيقى والدلالة في خطاب الرّئيس برّي

يُعدّ التكرار أداة بلاغيّة أساسيّة في تشكيل الموسيقى الداخليّة للأمثال الشعبيّة ضمن خطابات الرئيس برّي، وينقسم إلى نوعين رئيسيّين يساهمان في تعميق الدلالة وتعزيز الإيقاع:

يُولّد تكرار الحروف إيقاعًا موسيقيًّا يُعزّز الدلالات النفسيّة للمثل. فمثلًا، يُبرز تكرار حرف اللام في «لا تقول فول ليصير بالمكيول» إلحاحًا على أهميّة التأسيس الصحيح، بينما يُوحي تكرار أحرف الهمس في «العدس بترابو» بالسلاسة والواقعيّة الاقتصاديّة. علاوة على ذلك، يُظهر تكرار الحروف القويّة (كحرف القاف في «حدّث العاقل...») شدّة الموقف، في حين تعكس الأحرف المهموسة الترغيب أو التحذير، ممّا يُضفي بُعدًا نفسيًّا على الرسالة.

في المقابل، يُعزّز تكرار الكلمات الإيقاع ويُعمّق الدلالة عبر إضافة معانٍ جديدة لكلّ تكرار. فعلى سبيل المثال، في مثل «من تحت الدلف لتحت المزراب»، يُكرّر «تحت» لتأكيد تفاقم الأزمات وتصاعدها. وفي مثل «الرطل بدو رطل ووقيّة»، يُكرر كلمة «رطل» لتعزيز فكرة الردّ القاسي أو المقاومة، ممّا يُضفي قوّة على المعنى المقصود.

باختصار، يُشكّل التكرار، سواء على مستوى الحروف أو الكلمات، مكوّنًا حيويًّا في الأمثال الشعبيّة لبرّي، حيث يُسهم في بناء إيقاع مؤثّر ويعمّق المعاني، ممّا يجعل الرسالة السياسيّة أكثر رسوخًا وتأثيرًا في المتلقّي.

1- راجع: محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص103.
2- راجع: أوزوالد، ديكرو، جان ماري سشفاير: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، ص163.

ومن الأمثال الشعبيّة التي استخدمها الرّئيس برّي والتي نجد فيها تكرارًا في الكلمات وقد أحدثت نغمًا موسيقيًّا، نذكر: «القابض على دينه كالقابض على الجمر»[1]،«النّاس بالنّاس والقطّة بالنّفاس»[2]، «يوم إلك يوم عليك»[3]،«كلّ حرف عن حرفه مسؤول»[4]،«لا بدنا نام بين القبور ولا بدنا نشوف منامات وحشة»[5]،«الجمل بميّة والجمّال بميّة والحمل بميّة»[6].«العدس بترابو وكل شي بحسابو»[7]. حدّث العاقل، بما لا يليق له، فإن لاق له، فلا عقل له[8].«كل أوان لا يستحي من أوانه»[9]«الأسى ما بينتسى»[10] «لا تخلطوا عبّاس بدبّاس»[11] «من يطرق الباب يسمع الجواب»[12] ياما تحت السّواهي دواهي[13] (حارة كل مين إيدو إلو – كل عنزة معلّقة بكرعوبها – لا يصلح العطّار ما أفسده الدهر). [14]

الدور الوظيفيّ للتكرار في الخطاب السياسيّ للرئيس برّي: الإقناع والتأثير الاجتماعيّ

يتجاوز التكرار في الخطاب السياسيّ للرّئيس برّي مجرّد كونه أداة جماليّة ليُصبح وسيلة فعّالة للإقناع والتأثير الاجتماعيّ، وذلك عبر آليّتين رئيسيّتين:

1- نبيه برّي، «لماذا ذكر برّي إسم السيد محسن الأمين في خطبته؟»، 3 كانون الاول 2016، من http://ja-noubia.com.

2- نبيه برّي، «برّي:، الناس بالناس والقطة بالنفاس،!»، 7 كانون الاول 2016، من https://imlebanon.org.

3- نبيه برّي، «الرّئيس برّي: الحكومة مضطرة ان تنجح ولا نريد ان يكون كل وزير فيها حكومة مستقلة»، 19 فبراير 2019، من http://www.nabihberry.com.

4- نبيه برّي، «الرّئيس برّي استقبل مجلس نقابة المحررين ووفداً صينياً رفيعاً والوزير السابق فارس بويز»، 6 سبتمبر 2018، من https://www.lp.gov.lb.

5- نبيه برّي، «لا بدنا نام بين القبور ولا بدنا نشوف منامات وحشة»، 13 اكتوبر 1998، من https://www.addiyarcomcarloscharlesnet.com.

6- نبيه برّي، «جلسة مناقشة الحكومة في سياستها العامة (4-18: الجلسة الصباحية»، 18 ابرّيل 2012، من https://www.lebanese-forces.com.

7- صحيفة الجمهورية، «برّي: زيارة عون عادية.. وكلّ شي بحسابو والعدس بترابو»، 9 تموز 2016، من https://www.lebanese-forces.com/2016/07/09/berri-aoun-17.

8- نبيه برّي، «لهذا السبب قال برّي: حدث العاقل بما لا يليق له فإن لاق له لا عقل له»،8 تموز 2016، من saidatv.

9- نبيه برّي، «برّي: كل أوان لا يستحي من أوانه»، 1 نوفمبر 2016، من https://www.beirutobserver.com.

10- نبيه برّي، «جلسة مناقشة البيان الوزاري في اليوم الأول.. 13 منحوا الثقة و2 حجبوها»، 13 فبراير 2019، من http://aliwaa.com.lb.

11- نبيه برّي، «برّي: وضع البلد لم يعدّ يتحمّل الهدر والسرقات... ولا تخلطوا عبّاس بدبّاس!»، 6 مارس 2019، من http://www.kataeb.org.

12- نبيه برّي، «الرّئيس برّي أمام حشود "احتفال القسم": لن نقبل بجعل لبنان قرباناً للمصابين بجنون العظمة ولا بتحويل حاضنة المقاومة الشعبية إلى شراع مثقوب تتسلل منه رياح الفتنة»، 28 ابرّيل 2018، من http://www.nabihberry.com.

13- م.ن.، ص216.

14- نبيه برّي، «الرّئيس نبيه برّي لـ " الشراع": لبنان "لا يصلح العطّار ما أفسده الدهر" والرهان الصحيح والوحيد هو على تفأهمّ سعودي – ايراني»، 3 آب 2013، من http://www.nabihberry.com.

توظيف الدلالات الشعبيّة

يعمد برّي إلى اختيار أمثال شعبيّة تُلامس حياة «البسطاء»، مثل استخدام «الفول» و«العدس»، ليربط خطابه بواقع جمهوره. هنا، يتحوّل التكرار إلى أداة لترسيخ الأفكار، كالتشكيك في وعود السياسيّين عبر مثل «لا تقول فول ليصير بالمكيول»، ممّا يجعل الرسالة أكثر قربًا وتأثيرًا في المتلقي.

خلق الأفعال الكلاميّة

لا يقتصر التكرار على ترسيخ المعاني، بل يُحوّله «برّي» إلى أداة لحث الجمهور على الفعل. يتجلّى ذلك في تحريض الجمهور على اختبار نزاهة السياسيّين باستخدام «حدّث العاقل بما لا يُعقل فإن صدّق فلا عقل له»، أو رفض الإملاءات الخارجيّة من خلال مثل «الرطل بدّو رطل ووقيّة». كما يُبرز تكرار الكلمات، مثل «أوان» في «كل أوان لا يستحي من أوانه»، الحاجة الملحّة للحسم في المواقف. يُضاف إلى ذلك، قدرة برّي على تحويل الأمثال إلى شعارات سياسيّة، مثل «ضربني وبكى وسبقني واشتكى»، التي تكشف تناقض الخصوم وتُرسخ السخرية كسلاح بلاغي فعّال في خطابه.

بهذا، يُصبح التكرار في خطاب برّي ليس فقط سمة أسلوبيّة، بل ركيزة وظيفيّة تُمكّنه من بناء جسور التواصل مع جمهوره، وتوجيههم، وتعزيز رسائله السياسيّة بفاعليّة.

المحسّنات اللّفظيّة والأثر الاجتماعيّ للأمثال الشعبيّة في خطاب الرّئيس برّي

يُسلط هذا التحليل الضوء على الأهميّة الكبيرة للمحسّنات اللّفظيّة في الأمثال الشعبيّة اللبنانيّة، كما تظهر في خطابات الرّئيس برّي، ودورها في تعزيز التأثير الاجتماعيّ.

يُعدّ السجع، وهو توافق نهايات الجمل في الحرف الأخير، أحد أبرز هذه المحسّنات. ينقسم السجع إلى أنواع، مثل المطرّف الّذي يتّفق فيه الحرف الأخير مع اختلاف الوزن (مثل: «الأسى ما بينتسى»)، والمرصّع الذي يتفق فيه الوزن والقافية (مثل: «ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه»). يُساهم السجع في إضفاء إيقاع موسيقيّ، وتحقيق توازن صوتيّ، وتسهيل حفظ الأمثال، كما يُعزز وضوح المعنى عبر الربط المتناغم بين الشكل والمضمون.

أمّا الجناس، وهو تشابه اللّفظين مع اختلاف المعنى، فيُعدّ أداة بلاغيّة قويّة أخرى. ينقسم إلى تام (مثل: «الجار لو

جار») وناقص (مثل: «صديقك من صدقك»). يُستخدم الجناس لجذب انتباه المتلقّي، وتعزيز الإقناع، وإثراء الدلالة من خلال الربط بين الألفاظ المتشابهة صوتيًّا، ممّا يُضيف عمقًا للرسالة.

الدلالات الاجتماعيّة والأفعال الكلاميّة

بالانتقال إلى تحليل الدلالات الاجتماعيّة للأمثال في خطاب الرئيس برّي، يُستخدم المنهج البراغماتيّ لفهم مقاصد الكلام وتأثيره في السياق الاجتماعيّ والسياسيّ. تُوظف الأمثال، بما تحمله من محسّنات لفظيّة، لإنتاج أفعال كلاميّة متنوّعة كالترغيب، الترهيب، أو الإقناع. يأخذ هذا التوظيف في الاعتبار عوامل مؤثرة كالبيئة الثقافيّة، الزمن، والسّياق السياسيّ. تُحدث هذه الأمثال تغييرًا في سلوك المتلقّين عبر تفعيل اللاوعي الجمعيّ، وتعزيز القيم الاجتماعيّة الراسخة (كالصدق والمرونة)، وربط الخطاب بالموروث الشعبيّ الغنيّ. هذا الربط يُساهم في تقريب المعاني المعقدة، ويُضفي شرعيّة وقبولًا على المضامين السياسيّة المطروحة، ممّا يُعزز من فاعليّة الخطاب وقدرته على التأثير.

الخطاب السياسيّ والأمثال الشعبيّة: مقاربة براغماتيّة في خطاب الرئيس برّي

يشير الأب يوحنّا الخوند إلى الأهميّة الأدبيّة واللاهوتيّة لإنجيل متى، لاسيّما بجمعه لأحداث حياة يسوع في مجموعات كبرى، وتركيزه على خمس خطب أساسيّة تُشكل العمود الفقري للإنجيل: خطبة الجبل، خطبة الرسالة، خطبة الأمثال، خطبة الكنيسة، وخطبة النهايات. هذا التأكيد على بنية الخطاب وأهميّته يتوازى مع تزايد محوريّة الخطاب في العلوم الإنسانيّة، العلاقات الاجتماعيّة، والنشاطات السياسيّة المعاصرة.

تنوّعت تعاريف الخطاب بتنوّع العلوم التي سعت لإدراك مغازيه اللّغويّة، اللسانيّة، الفلسفيّة، الاجتماعيّة، والسياسيّة. لقد انطلق اللّسانيّون في دراسة وتحليل الخطاب وفق آليات حديثة تسلط الضوء على جوانب جديدة. من الصعب، بل من المستحيل، إدراك كل المقاصد الخطابيّة للخطيب السياسيّ بشكل عام، وللرئيس برّي بشكل خاصّ، دون الخوض في معرفة المؤثّرات والمشتركات النفسيّة والاجتماعيّة والموروثات الثقافيّة. فالخطيب ليس منعزلًا عن بيئته، ولا يمكن فصل الارتباط العفويّ والأُسري بهذه البيئة. وهذا ما يمكن الولوج إليه من خلال

التحليل وفق المنهج البراغماتيّ الحديث، لمعرفة مقاصد الكلام والأفعال الناتجة عنه.

انطلاقًا من تسليط الضوء على المثل الشعبيّ في الخطاب السياسيّ اللبناني من النواحي البلاغيّة والأسلوبيّة، وتفصيل الخصائص الغنيّة للأمثال ووظيفتها في الخطاب السياسيّ، سنركّز على دراسة الأمثال في الخطاب السياسيّ من ناحية الدلالة الاجتماعيّة للأفعال في السّياق ودور المثل ووظيفته في إحداث أفعال الكلام، وذلك لاستكشاف البراغماتية الدلالية للأمثال في سياقها السياسيّ اللبنانيّ.

يكشف تحليل خطاب الرئيس برّي عن توظيفه الملحوظ للأمثال الشعبيّة كعبارات مفتاحيّة. يهدف هذا الاستخدام، سواء بقصد أو بغير قصد، إلى توجيه الجمهور نحو سلوكيّات محدّدة، من خلال التشجيع على فعل معيّن أو الامتناع عنه. هنا، يتجلّى التطبيق الحرفيّ لمبادئ البراغماتيّة التداوليّة، حيث يتحوّل الكلام إلى أداة لإنتاج الأفعال.

من الأمثلة البارزة على ذلك، استخدامه لمثل «**حارة كل مين إيدو إلو**»[1]. هذا المثل، المنتشر في العديد من الدول العربيّة، يصف ببراعة حالة الفوضى وانعدام التنظيم. في سياق خطاب الرئيس برّي، يأتي هذا المثل ليُجسّد وصفًا دقيقًا للواقع اللبنانيّ المعقّد.

دلالة المثل في السياق السياسيّ

عندما سُئل الرئيس برّي عن تكرار مشكلة الفراغ الرئاسيّ وما إذا كانت المشكلة بنيويّة وتحتاج إلى رعاية خارجيّة، جاء رده بالمثل ليصف لبنان بأنّه «حارة كل مين إيدو إلو». يشير هذا التشبيه إلى حالة الفوضى السائدة حيث يتصرّف كل طرف وكأنّه كيان مستقل، وينتظر الإشارات الإقليمية لحلحلة المشاكل الداخلية. يُستنتج من ذلك أن الأطراف الداخلية لا تلتزم بمنظومة موحدة تضبط إيقاع الخلافات، مما يساهم في تكرار الأزمات، حيث يتعامل كل طرف مع القضايا الكبرى والصغرى بمعزل عن بقية شركاء الوطن.

إنّ توظيف الرّئيس برّي لهذا المثل في خطابه لا يقتصر على الوصف، بل يولّد أفعالًا كلاميّة تهدف إلى التأثير في المتلقّي:

– فعل الإقناع: يربط الرئيس برّي وضع لبنان الريادي وموقعه الاستراتيجيّ بدوره الرّساليّ، ليقنع الجميع بضرورة حل المشاكل العالقة فورًا. يدعو إلى عدم بقاء لبنان «حارة» تتّسم بالفوضى وتقسيم النفوذ، بل يجب العمل على إصلاح

1– نبيه برّي، «الرّئيس نبيه برّي لـ"الشراع": لبنان "حارة كل مين إيدو الو" والرهان الصحيح والوحيد هو على تفاهمّ سعودي – ايراني»، 3 آب 2013، من .http://www .nabihberry.com

النظام اللبنانيّ وتغليب المصلحة العامّة على المصالح الفئويّة الضيّقة.

– فعل المصارحة: يصرّح الرئيس برّي بأنّ الرهان على «غالب ومغلوب» في سوريا أو لبنان لن يؤدّي إلّا إلى إضاعة الوقت وتفاقم المشكلات، وتكاثر «الأجنحة العسكريّة والعصابات والمافيات والقوى الميليشياويّة»، ونمو «القوى الطفيليّة» التي قد تتحول إلى «قوى أصوليّة راديكاليّة متطرّفة». هذه المصارحة الدقيقة تدعو كل من يعنيه الأمر إلى تعديل سلوكه وعدم البناء على رهانات خاطئة تؤدّي إلى الخراب والطرق المسدودة. [1]

– فعل التوجيه: يؤكّد الرئيس برّي أنّ «الرهان الوحيد والصحيح هو على تفاهم سعوديّ–إيرانيّ». هذا توجيه واضح لجميع المعنيّين في الدولة للضغط باتّجاه هذا التفاهم، ورسالة للدولتين المعنيّتين لإراحة الداخل اللبنانيّ والإقليميّ بإنهاء الفراغ الرئاسيّ في لبنان. هذا من شأنه أن يخفّف من انعكاسات «حارة كل مين إيدو إلو» ويغلب المصلحة العامّة للوطن.

– فعل الصمت: يلفت النصّ إلى أنّ الرئيس برّي لم يشر صراحة إلى الأطراف المسؤولة عن «تقطيع أوصال البلد» وغياب منطق الدولة والمؤسّسات، ممّا أدّى إلى الوضع الحالي. هنا، يُفسر الصمت بأنّه «صمت الشاحب وصمت المنزعج»، في إشارة إلى إدراكه للمشكلة دون تسمية محددة.

لقد نجح الرئيس برّي في تحقيق هدف فريد من خلال خطاباته التي وظّف فيها الأمثال؛ فقد كانت مكرّسة للمصلحة العامّة. يُفهم من كلامه أنّ المعيار الذي تُفحص على أساسه خطاباته هو ما تدفع إليه من تحقيق لنتائج عمليّة على أرض الواقع، حيث تُعدّ الساحة اللبنانيّة نفسها هي ميدان اختبار صدق أو كذب الأفكار السياسيّة. يؤكّد الرئيس برّي على أنّ العمل الوطنيّ مبدأ مطلق، وتأتي الأمثال لتعزيز هذا المطلب في وجدان المواطن اللبنانيّ، ممّا يعكس موقفًا براغماتيًّا يتوافق مع المذهب العمليّ الذي يعتمد على التجربة الوجدانيّة الخالصة ويرى المستقبل كاحتمالات متعدّدة تتوقّف على فعل الكائنات التي تقرّر مصيرها. [2]

1– نبيه برّي، «الرّئيس نبيه برّي لـ"الشراع": لبنان الرهان الصحيح والوحيد هو على تفاهمّ سعودي – ايراني»، 3 آب 2013، من http://www.nabi–hberry.com.

2– راجع: كرم، يوسف، **تاريخ الفلسفة الحديثة**: القاهرة، دار المعارف بمصر، لا.ت.، ص: 397.

الأمثال الشعبية في خطابات الرّئيس برّي: تحليل وتوظيف

وظّف الرّئيس برّي الأمثال الشعبيّة ببراعة في مناسبات وخطابات مختلفة، مستخدمًا إياها كأداة بلاغيّة قويّة لتعزيز رسائله السياسيّة. نقدم فيما يلي تحليلًا لمثلين وردا في أحد خطاباته حيث يقول:

« إنَّ العالم يجب أن يتأكد أنَّ لبنان لن يؤخذ من البحر كما لم تتمكّن إسرائيل من أخذه من الجوّ والبرّ خلال عدوان تموز 2006 وكل الاحتياجات السابقة. إنَّنا على الصعيد الرسميّ ندعو الحكومة إلى سرعة إنجاز وإصدار المراسيم التطبيقيّة لقانون النفّط والغاز الذي أصدرناه، وإلى العمل لترسيم الحدود البحريّة، بعد أن حدّدناها، لأنّ **(الرزق السائب يعلّم النّاس الحرام)** فكيف ونحن إزاء إسرائيل التي تعيش على سرقة الأرض العربيّة والموراد.

إنَّ إسرائيل تواصل اعتماد سياسة **(ضربني وبكى وسبقني واشتكى)**، وهي تحاول الاستثمار على العامل القبرصيّ وعلى أخذ إجازةٍ دوليّةٍ في استثمار المناطق الحرام في البحرين الأبيض المتوسّط والأحمر[...] إنَّنا بخلاف هؤلاء نستدعي حوارًا من أجل الجامعة العربيّة وإعادة تكوينها على أسس فاعلة فقد بقيت متفرجة وحتّى وصلنا إلى ما يتفّرج عليه وعلينا كل العالم الآن.» [1]

«الرزق السائب يعلّم الناس الحرام»

جاء هذا المثل في سياق حديث الرّئيس برّي عن ضرورة حماية لبنان لثرواته النفطيّة والغازيّة. فقد دعا الحكومة اللبنانيّة إلى الإسراع في إنجاز وإصدار المراسيم التطبيقيّة لقانون النفط والغاز، وإلى العمل على ترسيم الحدود البحريّة. استُخدم المثل لتحذير من مخاطر ترك الموارد غير المحميّة، خاصّةً وأنّ لبنان يواجه كيانًا كإسرائيل التي «تعيش على سرقة الأرض العربيّة والموارد». هنا، المثل ليس مجرّد قول مأثور، بل هو دعوة إلى العمل والحسم، وتأكيد على ضرورة حصانة الموارد الوطنيّة.

«ضربني وبكى وسبقني واشتكى»

استخدم الرّئيس برّي هذا المثل لوصف سلوك إسرائيل المتكرّر في المنطقة. فقد أشار إلى محاولات إسرائيل الاستثمار في العامل القبرصيّ والحصول على إجازة دوليّة لاستثمار المناطق المتنازع عليها في البحرين الأبيض المتوسّط والأحمر. يوضّح المثل هنا الصورة النمطيّة لسلوك إسرائيل:

1- نبيه برّي، «كلمة الرّئيس نبيه برّي خلال رعايته لإحتفال مؤسسة واحة الشهيد اللبنانيّ»، 10 آب 2011، من http://www.nabihberry.com.

الاعتداء ثم التظاهر بالضحيّة والشكوى. يهدف توظيف هذا المثل إلى فك الارتباط بين الرواية الإسرائيليّة وواقعها، وفضح زيف ادعاءاتها أمام الرأي العامّ، بالإضافة إلى توجيه نقد لاذع لموقف الجامعة العربيّة المتفرّج على هذه الممارسات.

يعكس استخدام برّي لهذه الأمثال قدرته على توظيف التراث الشعبيّ لخدمة الخطاب السياسيّ المعاصر، ممّا يجعل رسائله أكثر تأثيرًا وقدرة على الوصول إلى مختلف شرائح الجمهور، وترسيخ المعاني في الأذهان.

يُعد المثل العربيّ «ضربني وبكى وسبقني واشتكى» نموذجًا تواصليًّا غنيًّا يركز على الوظيفة العمليّة للغة في السياقات الاجتماعيّة وتأثيرها على المتلقّي، متجاوزًا البنية اللّغويّة المجرّدة. يقدّم هذا المثل حكمة شعبيّة تعكس آليات التفاعل الإنسانيّ المعقّدة، ويمكن تفكيك دلالاته براغماتيًّا.

السياق التواصليّ

ينشأ المثل في مواقف النزاع والظلم، حيث يحاول الطرف المعتدي التهرّب من المسؤوليّة من خلال التلاعب بالعاطفة العامّة. لا يُفهم المثل هنا بمعناه الحرفيّ كوصف لحدث الضرب والبكاء، بل كأداة تحذيريّة تكشف عن سلوك مغلوط ومضلّل.

نظريّة الأفعال الكلاميّة

بتطبيق نظريّة الأفعال الكلاميّة لأوستن وسيرل، يؤدّي المثل ثلاث وظائف متداخلة:

– الفعل التقريريّ: يصف سلسلة الأحداث (الضرب، البكاء، السبق بالشكوى).

– الفعل الإنجازيّ: يحمل رسائل جوهريّة مثل التحذير من أساليب الخداع، إدانة النفاق، وتوصيف دقيق لشخصيّة المتنصل من المسؤوليّة.

– الفعل التأثيريّ: يهدف إلى إقناع المتلقّي بعدم الانخداع بالمظاهر، توعيته بآليات التضليل، وحثه على التريّث في إصدار الأحكام والبحث عن الحقيقة.

يكشف المثل انتهاكًا صارخًا لمبدأ الصدق، من منظور مبادئ جرايس التخاطبيّة[1]، فبكاء المعتدي وشكواه ليسا تعبيرًا صادقًا عن الألم، بل استراتيجيّة متعمّدة لقلب الأدوار وتضليل الرأي العامّ. هذا الانتهاك المتعمّد يعرّي آليات التلاعب باللّغة لتحقيق مكاسب غير مشروعة.

1– راجع: العياشيّ، ادواري، مجلة الاستغراب، العدد 36، 2024.

من جانب آخر، تُظهر نظريّة الوجه لبراون وليفينسون[1] كيف يهاجم المعتدي- إسرائيل- الوجه الإيجابيّ للضحيّة الحقيقيّة (سمعتها ومصداقيّتها) عبر تقديم نفسه كضحيّة. تهدف هذه الهجمات التواصليّة إلى حماية الوجه السلبيّ للمعتدي (رغبته في تجنّب المسؤوليّة والعقاب)، ممّا يعمق الظلم ويشوّش الحقائق.

من خلال الاستلزام التخاطبيّ، يفهم المتلقّي—بفضل كفاءته الثقافيّة واللّغويّة— دلالات أعمق من المعنى المباشر. يستلزم المثل أنّ الشخص الموصوف-إسرائيل- منافق ومخادع، ويوصي بعدم تصديق ادعاءاته والدفاع عن المظلوم الحقيقيّ.

يُبرز التحليل الوظيفة الاجتماعيّة للمثل كأداة للحفاظ على العدالة. فهو ينظّم السلوك المجتمعيّ بفضحه أساليب النفاق، ويبني وعيًا جمعيًّا بمقاومة التضليل، ويعزّز الكفاءة التواصليّة عبر تقديم صيغة مختصرة وفعّالة لمواجهة المواقف المعقّدة. بهذا، لا يكون المثل مجرّد قول مأثور، بل نظامًا براغماتيًّا متكاملًا يجسد حكمة التواصل العربيّ في كشف الزيف والدفاع عن الحق.

«من تحت الدّلف لتحت المزراب»

قال رئيس المجلس النيابّي نبيه برّي: «إنَّنا أمام استحقاقين أساسيّين اليوم هما: تأليف الحكومة الجديدة وانتخاب رئيس الجمهوريّة، ولا نريد لأيٍّ واحدٍ منهما أن يؤثّر على الآخر سلبًا، وقال: ما نسمع من معالجاتٍ ينطبق عليه المثل القائل **(من تحت الدّلف لتحت المزراب)**، مشدِّدًا على أنَّ الغاية الأساسيّة هي المشاركة والتفاهم، وجدَّد تأكيده أنَّ هناك قرارًا لدى الشعبّ، وكل المسؤولين والقيادات بعدم العودة إلى الحرب الأهليّة محذّرًا في الوقت نفسه من الشرخ السياسيّ العمودّي الحاصل، لا سيّما في حال حصول حادثٍ جللٍ لا سمح الله في البلاد. «[2]

يمثّل المثل العربيّ «**من تحت الدلف لتحت المزراب**» نموذجًا ثريًا للتحليل البراغماتيّ، الّذي يركّز على الوظيفة العمليّة للغة في السّياقات الاجتماعيّة والأثر السلوكيّ للكلام، متجاوزًا الشكل اللّغويّ المجرّد. يعكس المثل انتقال الشخص من وضع سيئ إلى وضع أسوأ، مقدمًا رؤية عميقة لآليات التواصل الإنسانيّ.

1- راجع: حمراوي، محمّد، نظريّة التأدب في اللسانيات، ص: 131.

2- جريدة الحياة، «برّي يعلّق على تصريح رئيس الجمهورية: «من تحت الدلف لتحت المزراب»»، 27 كانون الأول 2013، من http://www.alhayat.com.

ينشأ المثل في مواقف اتّخاذ القرارات غير العقلانيّة، حيث يحاول شخص الهروب من مشكلة بسيطة نسبيًا (الحر تحت «الدلف» – جانب الباب) ليقع في مأزق أشدّ خطورة (تحت «المزراب» حيث تتجمّع المياه القذرة). يسلّط هذا السياق الضوء على فشل الذكاء التواصليّ لدى الفاعل، الّذي يتجاهل تقييم العواقب العمليّة لخياراته، وهو جوهر الرؤية البراغماتيّة.

بتطبيق نظريّة الأفعال الكلاميّة (أوستن وسيرل)، يؤدّي المثل وظائف متعددة الطبقات:

– الفعل التقريريّ: يصف انتقالًا مكانيًّا بين موقعين.

– الفعل الإنجازيّ: هو لبّ التحليل، حيث يحمل المثل رسائل تحذيريّة من التسرّع، ونقدًا لافتقار القرارات للعقلانيّة، ونفيًا لشرعيّة تبريرات من اتخذ الخيار الخاطئ.

– الفعل التأثيريّ: يهدف إلى ردع المتلقّي عن التصرّف بتهوّر، وتحفيزه على تبنّي الحساب البراغماتيّ للعواقب (المنافع مقابل التكاليف) قبل الإقدام على أيّ فعل.

يكشف المثل انتهاكًا صارخًا لمبدأين أساسيّين من مبادئ جرايس التخاطبيّة:

– مبدأ الكميّة: يُخرق بإخفاء الفاعل لمخاطر الموقف الجديد «تحت المزراب».

– مبدأ العلاقة: يُنتهك بفشل الفاعل في إقامة الربط السببيّ بين اختياره ونتائجه الكارثيّة. هذا الانتهاك المزدوج يعرّي آلية التضليل الذاتيّ والجماعيّ التي تقود لتفاقم الأزمات.

تُظهر نظريّة الوجه (براون وليفينسون) البعد الاجتماعيّ للأزمة. فالقرار غير العقلانيّ يشكّل هجومًا على الوجه السلبيّ للفاعل نفسه، حيث ينقض حاجته للحريّة والأمان ويدفعه لتهديد سلامته. كما يتسبّب في فقدان الوجه الإيجابيّ عبر تشويه صورته كشخص حكيم في المجتمع، ممّا يضعف موقعه الاجتماعيّ.

يُكمل الاستلزام التخاطبيّ الصورة، حيث يستنتج المتلقّي—من خلال كفاءته الثقافيّة—دلالات أعمق غير مصرّح بها مباشرة: أنّ الهروب الانفعاليّ من المشكلات يضاعف الخسائر، وأنّ ادّعاء الجهل لا يبرّر الوقوع في كارثة أكبر. هذه الدلالات الضمنيّة تحيل إلى مبدأ براغماتيّ جوهريّ: قيمة الفعل تقاس بنتائجه لا بنواياه.

تؤكّد الوظيفة الاجتماعيّة للمثل دوره كأداة ضبط جماعيّ. فهو يعزّز العقلانيّة في اتخاذ القرار بتحذير مكثّف يوثّق تجارب الأجيال، ويطوّر الكفاءة البراغماتيّة المجتمعيّة بتقديم معيار لتقييم الأفعال بناءً على عواقبها الملموسة، ويحافظ على التماسك الاجتماعيّ بنبذ التصرّفات الفرديّة التي توّلد أزمات جماعيّة.

البراغماتيّة كمرآة للحكمة الشعبيّة

يُجسّد المثل في تحليله البراغماتيّ اللّغة كأداة لحل المشكلات الإنسانيّة. يدمج عناصر معماريّة محليّة (الدلف والمزراب) في استعارة تنقل معرفة عمليّة عن إدارة المخاطر، ويعكس نظريّة العقل بتوقّعه لردود أفعال المجتمع تجاه التصرّفات غير العقلانيّة. الأهمّ أنّه يحوّل التجربة الإنسانيّة إلى آليّة وقائيّة تذكّر بأنّ الفعل الناجح—في الرؤية البراغماتيّة—ليس الذي يحقّق الهروب الآني، بل الذي يُجنّب المرء انتكاسة أشدّ. وبهذا، يصبح المثل نظامًا تواصليًّا متكاملًا يختزل نظريّات معقّدة في صيغة شعبيّة تخاطب العقل عبر العواقب.

«من جرّب المجرّب كان عقلو مخرّب»

«رداً على سؤالٍ حول التّمديد للمجلس النيابيّ، الرّئيس برّي قال –للمستقبل– المثل الشعبيّ يقول: **(من جرّب المجرّب كان عقلو مخرّب)**، ونحن جربنا التمديد لمدة سنة وخمسة أشهر، على أساس أنّنا سنعمد في هذا الأمد إلى إقرار قانونٍ انتخابيٍّ جديدٍ وانتخاب رئيس جمهوريةٍ جديد. إلّا أنّنا لا أقرّينا قانون انتخاب ولا انتخبنا رئيساً؛ بل على العكس عطلّوا التشريع، قيل بتشريع الأمور الضرورّية (في ظلّ الشغور الرئاسّي)، ونحن أمامنا اليوم مشروع سلسلة الرّتب والرواتب ومصير 107 آلاف طالب (في ضوء مقاطعة تصحيح الامتحانات الرسميّة ربطاً بموضوع السلسلة) ومسألة سندات اليوروبوند وقانون الإيجارات، والموازنة العامّة التي أُعد مشروعها لأوّل مرّة منذ تسع سنوات فضلاً عن مسائل ضروريّةٍ أخرى.» [1]

يُمثِّل هذا المثل العربيّ نقدًا لاذعًا للعقليّة التي تتّبع تجارب الآخرين الفاشلة دون تمحيص. إنّه نموذج ثريّ للتحليل البراغماتيّ الذي يدرس كفاءة اللّغة في إدارة السلوك البشريّ من خلال تحليل الوظائف العمليّة للكلام وتأثيراته الاجتماعيّة. ننطلق هنا من فكرة أنّ المثل ليس مجرّد تعبير جماليّ، بل أداة تواصليّة تُحدث تغييرًا في المواقف العمليّة.

1– نبيه برّي، «مؤتمر صحافي للرئيس نبيه برّي: إلغاء الطائفية السياسيّة لا يعني إلغاء الطوائف»، 13 كانون الثاني 2010، من http://www.nabihberry.com.

يُحدّد السياق التواصليّ للمثل مواقف التحذير من الانسياق الأعمى وراء «المُجرِّب»؛ أي الشخص الذي يكرّر تجارب سبق أن فشلت أو ثبت خطرها. يشير المثل إلى أنّ ثقة الشخص بتجارب الآخرين دون تحليل نقديّ «جَرَّبَ المَجَرَّبْ» تؤدّي إلى تدمير قدرته العقليّة «كان عقلُه مَخَرَّبْ». يسلّط هذا السياق الضوء على إخفاق تواصليّ مزدوج: فشل المتلقّي في تقييم مصداقيّة المرسِل (المُجرِّب)، وفشل المرسِل في تقديم تجربته كمصدر موثوق للمعرفة.

الأفعال الكلاميّة ووظائفها المتعدّدة

من خلال نظريّة الأفعال الكلاميّة (أوستن وسيرل)، يتبيّن أنّ المثل يؤدّي وظائف متعدّدة:

– على مستوى الفعل التقريريّ، يصوِّر المثل علاقة سببيّة بين فعلين (التجربة والتخريب).

– أمّا الفعل الإنجازيّ، فهو جوهر الرسالة، حيث يحمل المثل:

- تحذيرًا من مخاطر الاعتماد على تجارب غير موثوقة.
- سخرية من سذاجة من يقلّدون الفاشلين.
- توجيهًا عقلانيًّا يدعو إلى التفكير النقديّ المستقلّ.

– ينتج عن ذلك فعل تأثيريّ يهدف إلى ردع المتلقّي عن تبنّي سلوك «التجريب الأعمى»، وتحفيزه على اعتماد الحساب العقلانيّ للعواقب قبل الانخراط في أيّ فعل.

عند تطبيق مبادئ جرايس التخاطبيّة، يكشف المثل انتهاكًا صارخًا لمبدأي الجودة والكميّة. فـ«المُجرِّب» يقدّم نفسه كمصدر موثوق لتجربة ناجحة (انتهاك مبدأ الجودة بالكذب أو المبالغة)، بينما يُخفي عواقب فشله السابق (انتهاك مبدأ الكميّة بحجب المعلومات الكافية). هذا الانتهاك المزدوج يُعرّي آليات خداع الذات والآخرين التي تقود إلى الكوارث المتكررة.

تُظهر نظريّة الوجه (براون وليفينسون) الأبعاد الاجتماعيّة للأزمة. فثقة المتلقيّ بـ «المُجرِّب» تشكّل هجومًا على وجهه الإيجابيّ، حيث تُهدر كرامته العقليّة عندما يتحوّل إلى ضحيّة ساذجة. كما أنّ «المُجرِّب» يفقد وجهه السلبي – أي حقه في الاحترام – عندما ينكشف تلاعبه، ممّا يُسقط هيبته الاجتماعيّة.

يُبرز الاستلزام التخاطبيّ رسائل ضمنيّة عميقة يفهمها المتلقّي الضليع ثقافيًّا:

- أنّ التجربة الفرديّة لا تُعادل حكمة موضوعيّة.
- أنّ تدمير العقل لا يأتي من الجهل بل من التبعيّة الفكريّة.
- أنّ النجاح يتطلّب مساءلة مصادر المعرفة قبل تطبيقها.

أخيرًا، تؤكد الوظيفة الاجتماعيّة للمثل دوره كآليّة تصحيحيّة للسلوك الجمعيّ. فهو يعزّز الكفاءة البراغماتيّة المجتمعيّة عبر:

- تنبيه الأفراد إلى ضرورة تقييم مصداقيّة المعلومات عمليًّا (هل نجحت تجربة «المُجرِّب» سابقًا؟).
- وصم السلوك القائم على التقليد غير العقلانيّ اجتماعيًّا.
- حماية المجتمع من انتشار الخبرات الزائفة التي تهدّد استقراره.

يُجسِّد المثل صراعًا بين المعرفة الظاهريّة والحكمة العمليّة. فـ«التجريب» هنا ليس فضيلة بل خطيئة عندما يُمارس دون وعي بالعواقب. اللّغة في هذا المثل تتحوّل إلى سلاح ضد التضليل، حيث تُعيد تعريف «العقل» ليس كوعي نظريّ، بل كقدرة على التنبّؤ بالعواقب وتجنّب المخاطر. بهذا يصبح المثل نظامًا تواصليًّا متكاملًا يختزل نظريّة براغماتيّة كاملة: أنّ تدمير العقل يبدأ عندما نُوقِف حكمنا النقديّ أمام تجارب الآخرين.

خطاب الرّئيس برّي: براغماتيّة الحقيقة ومحوريّة المصلحة الوطنيّة

يُبنى خطاب الرّئيس برّي على افتراض امتلاكه للحقيقة السياسيّة اللبنانيّة، مدركًا في الوقت ذاته أنّ هذه «الحقيقة» قد تُرفض من قِبل سياسيّين آخرين. انطلاقًا من خبرته العميقة، لا يدافع برّي عن حقيقة مطلقة، بل عن رؤية يراها أكثر نفعًا للبنان، مُراعيًا خصوصيّة مجتمعٍ قائمٍ على التعدديّة. فوحدة لبنان – في تصوّره – لا تعني طمس الاختلافات، بل توظيفها لصالح المصلحة الوطنيّة. هذا الموقف البراغماتيّ يدفعه لخوض حوارات وجدالات مع خصومه، مبرهنًا أنّه يبحث عن مصلحة البلد فوق الانقسامات، ممّا يضعه في منافسة خطابيّة مع ساسة آخرين أمام الشعب اللبنانيّ.

يستند برّي في خطاباته إلى آليّتين استدلاليّتين مستوحاتين من فلسفة أرسطو:

– الاستقراء عبر الأمثال: حيث يوظّف الأمثال الشعبيّة (كنتاج لتجارب جماعيّة متراكمة) كأدّلة عمليّة تعكس حكمة الموروث الثقافيّ.

– القياس المضمر: وهو استدلال منطقيّ يُخفي إحدى مقدّماته الثابتة لدى الجمهور. مثال على ذلك: «كل مجتمع طائفيّ معرض للحرب الأهليّة \ لبنان طائفيّ \ إذن مهدّد بالصراع».

رغم اختلاف الآليّتين، إلّا أنّ تأثيرهما الإقناعيّ متكافئ حسب أرسطو. ويبقى الهدف المركزيّ لكليهما هو تحقيق المنفعة العامّة، التي تعدّ عند برّي جوهر «الحقيقة السياسيّة». وهكذا تُختزل بلاغته في كونه خطيبًا بارعًا يتحوّل فيه المثل الشعبيّ إلى أداة لتغيير الواقع خدمةً للصالح الوطني.

يُقدم المنهج البراغماتيّ، لا سيّما في تحليل أفعال الخطاب، نموذجًا عمليًّا لرصد مقاصد الخطاب السياسيّ. فهو لا يقتصر على الكشف عن الملفوظات الصريحة، بل يتعدّاها إلى كشف «المسكوت عنه» والإيحاءات الضمنيّة.

إنّ تطبيق هذا المنهج على خطابات الرئيس برّي لتحليل الأفعال الكلامية الناتجة عن توظيفه للأمثال الشعبيّة، بيّنت أنّ المثل يشكّل خطابًا فرعيًّا يولّد أفعالًا كالإقناع والتحذير، ويكشف مضمرات الخطاب عبر طبيعته الإيحائيّة غير المباشرة.

اتّسم استخدام برّي للأمثال بالغزارة والملاءمة بين دلالاتها الاجتماعيّة وسياق الخطاب، ممّا حوّل غالبيتها إلى أمثال سياسيّة بامتياز. هذا الاستخدام المكثّف رسّخ صورته كـ «حكيم» في الوعي الجمعيّ. ومع ذلك، تبقى هذه الظاهرة بحاجة إلى دراسات أوسع لتعميق فهمنا لدور الأمثال في الخطاب السياسيّ وتأثيرها الاجتماعيّ.

الخاتمة

يؤكّد هذا البحث أنّ الخطاب السياسيّ، بأنظمته المتنوّعة، يبقى أداة محوريّة للسلطة في ترسيخ مكتسباتها. ويدرس البحث دور المثل الشعبيّ في خطابات الرئيس نبيه برّي، بوصفها ظاهرة بلاغيّة استثنائيّة. لقد نجح برّي في تحويل الأمثال من مجرّد تراث شفاهيّ إلى أدوات سياسيّة فاعلة، تتناقلها وسائل الإعلام كمحدّد للمواقف. وقد استثمر خصائصها المتعددة لتحقيق ذلك:

- التكرار: لترسيخ الرؤى والمفاهيم السياسيّة في أذهان المتلقين.
- الانزياح الاستعاريّ: لترشيد الموقف السياسيّ، وتقديم رؤى مبتكرة للقضايا المعقدة.

- السخرية الذكيّة: لنقد الخصوم والتعليق على الأوضاع دون تفجير الصراعات بشكل مباشر.

إنّ توظيف الرئيس برّي للأمثال الشعبيّة في خطاباته يُنتج أفعالًا كلاميّة محدّدة كالإقناع، التحذير، والتحريض. كما يكشف هذا التوظيف عن المسكوت عنه في الخطاب عبر طبيعة الأمثال الإيحائيّة وغير المباشرة.

تمثّل هذه الأمثال جسرًا بين الوجدان الجمعيّ والخطاب الرسميّ، حيث تنقل المؤثّرات النفسيّة والاجتماعيّة، مثل معاناة الطبقات المهمّشة وضرورة استمرار وحفظ المقاومة، إلى الرأي العامّ بصيغة عاطفيّة مقنعة تفوق قوّة البراهين المجرّدة. وهكذا، حققّ برّي—وريثًا لتراث الإمام الصدر ولكن بخطاب مدنيّ—نقلة من الأيديولوجيا إلى البراغماتيّة الواقعيّة. استخدم الكلمة كسلاح لزعزعة الثوابت السياسيّة وتشجيع الجمهور على تجاوز «الخطوط الحمراء»، ممّا أسهم في تشكيل زعامته كـ «حكيم شعبيّ مقاوم» على مستوى لبنان. ويفتح هذا التحليل الباب لدراسات أعمق حول آليات الهيمنة الرمزيّة في الخطاب السياسيّ العربيّ.

المصادر والمراجع

1. ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، ج1، دار الفكر، بيروت، 2001.
2. ابو عليّ، محمد توفيق، الأمثال العربيّة والعصر الجاهليّ، دراسة تحليليّة، بيروت، لبنان: دار النفائس 1988م.
3. ابو عليّ، محمد توفيق، روائع الامثال الشائعة، دار النقاش، ط2، 2000م.
4. أرسطو طاليس، الأخلاق، ترجمة: إسحق بن حنين، حقّقه وشرحه وقدّم له: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1979.
5. الأمين، محمد سالم محمد، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، بيروت: دار الكتاب الجديد، ط1، 2008م.
6. أوزوالد، ديكرو، جان ماري سشفاير: القاموس الموسوعيّ الجديد لعلوم اللّسان، ترجمة منذر عياشي، ص163.
7. بدير، حلمي، أثر المثل في الأدب الحديث، الاسكندريّة–مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،2003م.
8. حمراوي، محمّد، نظريّة التأدب في اللسانيات.
9. عليّ، محمد كرد، أمراء البيان، دار الأمانة بيروت، ط3، 1969.
10. العياشيّ، ادواري، مجلة الاستغراب، العدد 36، 2024.

11. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل النقد الأدبيّ، الدار البيضاء، المغرب: المركز العربيّ، 2002م.

8. المواقع الإلكترونيّة

- http://janoubia.com
- https://imlebanon.org
- https://www.lp.gov.lb
- https://www.addiyarcomcarlos-charlesnet.com
- https://www.lebanese-forces.com
- https://www.saidatv.tv
- http://www.nabihberry.com
- http://www.alhayat.com
- https://www.beirutobserver.com
- http://www.kataeb.org